التورية

تاريخ ودراسة

للدكتور / لطفى السيد صالح قنديل

الحمد لله رب العالمين الذى خص العرب فى الكلام بنهاية الكمال ، وتحداهم على ما هم فيه من الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بما يضاهى آية من القرآن ولو فى مثال وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الجميل الخصال ، الجليل المقال والفعال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير الصحب ، وأطيب الآل .

« وبعـــــد »

فمن ألوان البديع وأصباغه التى تزخر بها البلاغة العربيـــــة « أسلوب التورية » وهذا الأسلوب له دلالته الأكيدة على مقدرة العقلية العربية على التمكن من اللغة وسرعة التصرف فى أساليبها والتفنن فـى طرائق التعبير بها ، بل انها لتدل على مدى اتساع هذه اللغة وطواعيتها وقدرتها على العطاء والنماء ، وذلك أن الاديب المبدع يستطيع بذكائـه ولباقته وسرعة تصرفه فى الالفاظ وشدة تمكنه من المعانى أن يتغلب على ما يطرأ عليه من أمور فى الحياة بهذا الاسلوب ، فيخرج به من المآزق الضيقة والمواقف الحرجة فى عبارة رقيقة سلسة تكسب الكلام حســـــنا والمعنى بهاء وجمالا ، وذلك أن المقصود منها هو التقية فى التعبير ، فيخرج الكلام بها عن الكذب باشتراك الاسم ، فتدفع المتلقى الى قـدح

زناد الفكر واستنجاد الرأى لاستخراج المراد (١) فتحدث فى نفسه عندئذ البهجة واللذة ، ويصير الاسلوب عذبا مستملحا .

وقد فطن الى ذلك العلامة ابن الاثير فقال : « وهذا النوع من أحسن الكلام وألطفه (٢) . ولذلك فان « المحسنات البديعية لا تكون فى يد الاديب الماهر مجرد ألفاظ عقيمة خاوية من كل معنى ، وانما تتحول على يديه الى شىء ذى قيمة عظيمة اذا ما أحسن استخدامها وأتى بها لتؤدى دورا فى افادة المعنى ، فيزداد الكلام بها شرفا وفضيلة » (٣) .

وربما كان ذلك هو السر فى قلتها عند القدماء كما عبر عنه العلامة ابن الاثير بقوله : « والمسلك الى مثل هذه المعانى وتصحيح المقصد فيها عسر جدا ، لا جرم أن الاجادة فيها قليلة » (٤) ، كما أفاد ذلك المعنى - أيضا - الرعينى بقوله : « وهذا باب واسع المجال لا يقبل منه الا ما أقبل فى أثواب الجمال ولا يدخل فى باب البلاغة اذا حسن معناه ، وأحسن مبناه » (٥) .

لذلك أحببت التعرف على هذا الاسلوب بالوقوف على معناه لغة واصطلاحا ومدى العلاقة بينهما ، وبيان هل هذا الاسلوب مستحدث فى لغة العرب أم قديم أصيل ، قدم هذه اللغة وأصالتها ، ثم دراسة الاسماء التى أطلقها العلماء على ذلك الاسلوب وأيها أقرب به ، وما سر اهتمام

---

(١) البرهان فى وجوه البيان ص ٤٨ ابن وهب الكاتب - تحقيق د . أحمد مطلوب ، د . خديجة الحديثى - بغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ، نقد النثر (المنسوب) لقدامة ص ٦٨ - تحقيق د . طه حسين ، عبد الحميد العبادى . القاهرة .

(٢) ينظر المثل السائر ٣/٨٦ ابن الاثير الجزرى تح : د . أحمد الحوفى ، د . بدوى طبانه .

(٣) ينظر فن البديع ص ٣١ د . عبد القادر حسين - ط . دار الشروق .

(٤) ينظر المثل السائر ٣/٨٠ .

(٥) ينظر طراز الحلة ص ٤٨٥ للرعينى .

علماء البلاغة به ؟ وهل وقع فى آيات القرآن الكريم ، وما موقف العلماء من ذلك ؟ وما الفروق والضوابط التى تفصل بينه وبين غيره من الفنون التى يمكن أن تلتبس به . هذا ومن الله العون وعليه التكلان .

معنى التوريـــة

لابد للدارس لذلك الاسلوب من الوقوف على معناه فى أصل وضع اللغة وفى اصطلاح علماء البلاغة ليتبين له مدى الارتباط بينهما فى أداء المعنى .

أولا : فى اللغـــة :

ان المتتبع لمادة (ورى) فى كتب اللغة يرى أنها تدور حول معنى الانتقال من الستر والخفاء الى معنى الوضوح والظهور ، وذلك أنهم يقولون :

ورى الأمر : ستره وأخفاه وأظهر غيره كأنه جعله خلفه بحيث لا يظهر . من ذلك الحديث المروى عن كعب بن مالك : أن النبى ﷺ كان اذا أراد سفرا ورى الى غيره وقال : الحرب خدعة .

قال الحربى : (ورى الى غيره) قال أبو عمرو : وريت الخبر سترته وأظهرت غيره والتورية اخفاء الخبر أوريه تورية (٦) .

وقال ابن الأنبارى : وقولهم ورى فلان عن كذا وكذا ، قال أبو بكر : معناه ستره وأظهر غيره والتورية الستر ، وريت الخبر أويه تورية اذا سترت وأظهرت غيره من ذلك الحديث الذى يروى عن النبى ﷺ أنه كان اذا أراد سفرا ورى بغيره ، وقال أبو عبيدة : ورى مأخوذ من الوراء ، وقال : المعنى أنه جعل الخبر وراءه ولم يظهره ، والوراء يكون بمعنى خلف

---

(٦) ينظر غريب الحديث ١/٧٠٩ ، ٧٦٠ للحربى .

قال الله عز وجل « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » (٧) معناه وكان أمامهم ، وقال الشاعر :

أليس ورائى أن أدب على العصا فيأمن اعدائى ويأمننى أهلى

فمعناه أليس أمامى ، والوراء ولد الولد قال الله عز وجل « ومن وراء اسحاق يعقوب » (٨،٩) .

وقال الراغب : يقال واريت كذا اذا سترته ، قال تعالى : « قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم » (١٠) وتوراى استتر قال : « حتى توارت بالحجاب » (١١) ، والورى : الخلق . قال الخليل بن أحمد : الورى الأنام الذين هم على وجه الأرض فى الوقت ليس من مضى ولا من يتناسل بعدهم فكانهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم (١٢) . فهم بذلك يسترون شيئا ويظهرون آخر .

ويقول الفيروز بادى : ورى الزند كوعى ، وورى كولى وريا ووريا ورية وهو وار ووري خرجت ناره ، وأوريته واستوريته وأصله من التوارى وهو الاستتار كانما تصدر من خروج النار من وراء المقدح استتارها فيه كقول أبى نواس :

يحكمون النار فى حجره (١٣)

وفى لسان العرب : ورى الزند خرجت ناره وأوراه غيره استخرج

---

(٧) سورة الكهف آية رقم ٧٩ .
(٨) سورة هود آية رقم ٧١ .
(٩) ينظر الزاهر ١/٤٣٤ لابن الانبارى .
(١٠) سورة الأعراف آية رقم ٢٦ .
(١١) سورة ص آية رقم ٣٢١ .
(١٢) ينظر المفردات ص ٥٢٠ .
(١٣) ينظر بصائر ذوى التمييز ٤/٢٠٠ ، ٢٠١ .

ناره والزند الوارى الذى تظهره ناره سريعا .... وفى حديث على كرم الله وجهه : حتى أورى قبسا لقابس أى أظهر نورا من الحـــق لطالب الهـــدى ....

واستوريت فلانا رايا : سألته ان يستخرج لى رأيه .... وأوريت صدره عليه أوقدته واحقدته (١٤) .

وقد روى عن الزمخشرى ما يؤكد ذلك دلالة على الظهور والارتفاع بعد الخفاء والإستتار حيث يقول : ومن المجاز ورت بك زنادى ووريت قـــال :

ورت بعمر بن على نارى ساعة تبدو أسؤق العذارى

وفلان كثير الرماد وارى الزناد ، واستوريت فلانا رايا سالته أن يوريه لى ، كما يقال : استضىء برأيه ، وسمعتهم يقولون : أورنيـــه بمعنى أرنيه وهو من الورى بمعنى أبرزه لى (١٥) .

فمن كل ما سبق يتضح بما لا يدع مجالا لشك أن مادة هذه الكلمة تدور معانيها فى اللغة حول الاستتار والظهور .

ثانيا : فى اصطلاح علماء البلاغة :

مرت التورية كغيرها من الفنون بأطوار عدة اعتراها خلالها بعض الاضطراب والخلط حتى استوت الى ما هى عليه الآن فى عرف البلغاء .

وذلك أننا نجد الجاحظ قد سبق فى التحدث عنها والاشارة اليها وبيان أنها تدور حول الستر والاظهار المقصود منه الخديعة والايهام للعدو بخلاف ما هو عليه وان لم يحدد معناها التحديد العلمى ويظهر ذلـــك

---

(١٤) ينظر لسان العرب مادة : ورى .
(١٥) ينظر أساس البلاغة ص ٤٩٧ للزمخشرى .

فى قوله : « وفى احتيال اليرابيع بالنافقاء والقاصعاء والراهطاء وفى تخليطها لمن أرادها ، **والتورية لشىء عن شىء** ، وفى معرفتها بباب الخديعة وكيف توهم عدوها خلاف ما هى عليه (١٦) .

وفى قوله أيضا : « وانما سمى الله عز وجل الكافر فى باطنه الموارى بالايمان والمستتر بخلاف ما يسر بالمنافق على النافقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع فى التورية بشىء عن شىء (١٧) .

ثم جاء ابن رشيق وذكرها فى باب الاشارة بقوله : « ومن أنواعها التورية » (١٨) ، ولكنه خلط بين التورية وغيرها من المصطلحات البلاغية كالكناية مثلا حيث يقول : « وأما التورية فى أشعار العرب فانما هى كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو مهرة أو ما شاكل ذلك كقول المسيب بن علس :

دعا شجر الأرض داعيهم لينصره السدر والأثأب

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون فى الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر اذا جاء بجيش عظيم » (١٩) . وهناك بالطبع كما هو معروف لدى العلماء فرق بين الكناية التى هى ركن من علم البيان والتورية التى هى من أصباغ علم البديع .

ثم نراه فى الجزء الثانى من الكتاب يخلط بين التورية وغيرها أيضا وان لم يشر اليها وذلك عندما يتحدث عن باب الاتساع ويعرفه بقوله : « وذلك أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه بالتأويل فيأتى كل واحد بمعنى وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى » وذلك

(١٦ ، ١٧) ينظر الحيوان ٥/٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - ط عيسى الحلبى ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م .

(١٨ ، ١٩) ينظر العمدة ١/٣١١ .

التعريف وان كان الكثير من شواهده التى ذكرها - ابن رشيق - لا تدخل تحت التورية كاستشهاده بقول امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومع ذلك يمكننا أن نلمح شاهدا واحدا ذكره ، ويمكن عده من باب التورية وهو قوله : « وزعم قوم فى قوله - اى المتنبى - يشفع لبنى كلاب الى سيف الدولة :

وتملك انفس الثقلين طرا فكيف تحوز انفسها كلاب

انه لم يرد القبيلة ، وانما أراد ان يجعلهم كلابا على باب التحقير لقدرهم والتلطف لهم » (٢٠) .

وبالنظر فى هذا البيت نجد أنه يمكن ان يكون من باب التورية التى أتت فى غير بابها عند ابن رشيق ، ويظهر به أيضا أن البلاغيين ما كانوا فى تلك المرحلة يفرقون بين التورية وغيرها من الأصباغ ، بل يمكن أن ينضم اليها ما يؤدى معناها من الصور البلاغية الاخرى (٢١) .

ولكن يظهر بعد ذلك من يطلق عليها اسم الايهام - وهو الفخر الرازى - ويعرفها بقوله : وهو أن يكون للفظ معنيان احدهما قريب والآخر بعيد فالسامع يسبق الى فهمه القريب مع أن المراد هو ذلك البعيد (٢٢) ، وذلك التعريف بعينه هو ما ذكره بدر الدين بن مالك (٢٣) وان كان السكاكى قد سبقه - اى بدر الدين - بقوله : الايهام وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لايهام القريب فى الحال الى أن يظهر أن المراد به هو البعيد (٢٤) .

---

(٢٠) ينظر العمدة ٢/٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .
(٢١) ينظر التصوير البيانى ص ٤٥٥ د . حفنى محمد شرف .
(٢٢) ينظر نهاية الايجاز ص ٢٩١ الفخر الرازى .
(٢٣ ، ٢٤) ينظر مفتاح العلوم ص ٢٠١ السكاكى - ط مصطفى الحلبى ١٣٣٦ هـ ١٩٥٧ م .

وتلك كانت هى المحاولات الاولى نحو التحديد الدقيق لذلك الاسلوب وتميزه عن غيره من الفنون .

ومع ذلك نجد ابن الاثير يذكرها فى المغالطات المعنوية ويبين حقيقتها بقوله : « وحقيقته أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء اخر ونقيض ، والنقيض أحسن موقعا والطف مأخذا ويمثل له بأمثلة التورية المذكورة فى كتب العلماء

ومع ذلك لا يشفى غليلنا فى تحديدها تحديدا علميا وانما مرجع الأمر عنده الى الذوق كما هو الحال عندهم (٢٥) .

وكذلك نجد ابن قيم الجوزية يتحدث عنها ويقول معرفا لها : « أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ، وهو فى القرآن العظيم كثير من ذلك قوله تعالى « حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٢٦) ، الله ، الجلالة الاولى مضاف اليها ، والثانية مبتدأ بها ، وقوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا »(٢٧) ، ومثله قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال » (٢٨،٢٩) . وذكر العلماء ان ذلك التعريف بعينه قد ذكره ابن النقيب فى مقدمة تفسيره (٣٠) .

وانى أرى أن ذلك التعريف لا ينطبق على التورية ، وانما ينطبق على صيغ آخر من أصباغ البديع يعرف : بالتعديد ، وقد مثل بدر الدين

---

(٢٥) ينظر المثل السائر ٣/٧٦ ، ٧٧ وما بعدها .
(٢٦) سورة الأنعام آية رقم ١٢٤ .
(٢٧) سورة الروم آية رقم ٦ ، ٧ .
(٢٨) سورة التوبة آية رقم ١٠٨ .
(٢٩) الفوائد المشوق ص ١٣٦ ابن قيم الجوزية - ط المتنبى .
(٣٠) ينظر طراز الحلة ص ٤٤٨ .

ابن مالك له بالآية الاولى وتبعه علماء البلاغة (٣١) .

وعندما نعرج على صاحب الطراز نجده يعرفها تعريفا عاما حيث يقول : « اعلم أن هذا الاسم عبارة عن كل ما يفهم منه معنى لا يدل عليه ظاهر لفظه ويكون مفهوما عند اللفظ به » (٣٢) .

وفرق بينها وبين الكناية والتعريض ، ثم ذكر تحتها المغالطة والالغاز والأحاجى وفرق بينها أيضا ، وربما كان المقصود عنده هو ما اصطلح عليه العلماء الآن بالتورية ، ثم ما ذكر باسم المغالطة المعنوية وان كان قد مثل له بأمثلة التورية .

فمن كل ذلك يتحصل لنا ان التورية قد اختلطت بغيرها من الفنون وان كانت هناك بعض المحاولات لتحديدها وأنها تدور حول الستر والاظهار .

ولعل أقرب التعريفات لما هى عليه الآن ما عرفها به العلامة : أسامة بن منقذ بقوله : « اعلم أن التورية هى أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتورى عنه بالآخر » (٣٣) . وتلك محاولة من ابن منقذ سابقة على كل ما سبق ومع ذلك غامت بين تحليل العلماء وتحديدهم للتورية .

وان كان أوضح التعريفات وأخصرها وأقربها مما قاله ابن منقذ ما عرفها به الخطيب القزوينى : « وهى أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما » (٣٤) وهو ما اصطلح العلماء على السير عليه الى الآن (٣٥) .

---

(٣١) ينظر المصباح ص ١٧٢ ، الطراز ٢/٨٢ ، عقود الجمان ص ١١٥ .
(٣٢) ينظر الطراز ٢/٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ .
(٣٣) ينظر البديع فى نقد الشعر ص ٦٠ .
(٣٤) ينظر الايضاح - بغية الايضاح ٤/٢٩ .
(٣٥) ينظر المطول ص ٤٢٥ ، شروح التلخيص ٤/٣٢٢ .

ثم جاء ابن حجة الحموى وفصل ذلك التعريف وأوضح الصلة بينه وبين المعنى اللغوى فقال: التورية يقال لها: الايهام والتوجيه والتخيير، والتورية أولى فى التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر، وهى فى الاصطلاح: أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل ذلك سمى هذا النوع ايهاما (٣٦).

وبذلك مهد ابن حجة الى بيان أنواع التورية وتفصيل اقسامها لمن جاء بعده (٣٧).

---

(٣٦) ينظر خزانة الادب ٢/٣٩.

(٣٧) ينظر طراز الحلة ص ٤٥.

أســـــماؤها

ذكر علماء البلاغة للتورية أسماء هى :

التورية ـ الايهام ـ التوجيه ـ التخييل ـ المغالطة المعنـــــوية ـ **التخيير** ، وسأحاول مناقشة كل واحد منها على حدة مبينا أقربهـــا **وأولاها بالاستعمال** .

أولا : التورية : وذلك الاسم هو أولى التسميات بهذا الفن وذلك لقربه من مطابقة المسمى ، وذلك لانها ـ كما يقول ابن حجة ـ : مصدر وريت الشيء أوريه تورية اذا سترته وأظهرت غيره ، كان المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر (١) . والى مثل ذلك ذهب ابن معصوم فى قوله : التورية أقرب اسم سمى به هذا النوع لمطابقته المسمى لانه مصدر وريت الحديث اذا أخفيته وأظهرت غيره (٢) ، وكذلك لان المناسبة مطلوبـة فى علاقة الألفاظ بالمعانى (٣) .

وقد عنون لها بذلك الاسم ـ التورية ـ مفردا أسامة بن منقذ ، وابن قيم الجوزية ، والعلوى اليمنى ، وجعله كثير منهم مشاركا لغيره مقدما عليهم كبدر الدين بن مالك ، وابن أبى الاصبع المصرى ، والخطيب القزوينى ، وصفى الدين الحلى ، وابن جابر الاندلسى ، وابن حجـــة الحموى ، وجلال الدين السيوطى والنابلسى وشراح التلخيص (٤) .

ثانيا : الايهام : وممن أطلق عليها ذلك الاسم مفردا : فخر الدين الرازى (٥) ، والعلامة السكاكى وذكره الخطيب القزوينى مع لفظـــ

---

(١) ينظر خزانة الادب ٢/٣٩ .
(٢) نقلا عن معجم المصطلحات البلاغية ١/٣٨٣ د . أحمد مطلوب .
(٣) ينظر فض الختام ص ١٥٢ .
(٤) ينظر شروح التلخيص ٤/٣٢٢ .
(٥) ينظر نهاية الايجاز ص ٢٩١ .

التورية وتبعه سعد الدين فى المطول وشراح التلخيص وكذلك العلامة الطيبى حيث قال : الايهام ويقال له التورية (٦) ، وكذلك السيوطى(٧)، والعلامة عصام الدين أحمد بن مصطفى (٨) والرعينى (٩) والزركشى (١٠) .

واطلق العلماء عليها ذلك الاسم لانه أقرب الى التورية من غيره ويعلل ذلك ابن حجة بقوله : لأن حقيقة التورية أن يذكر لفظ له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهره والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع مع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ، ولذلك سمى العلماء هذا الفن ايهاما (١١) .

ولكن الصفدى قد سبقه الى بيان ان التورية من الايهام معللا بقوله : لأن الايهام : يطلق على ما يحصل به اى نوع كان من الغلط ، لأنه ماخوذ من الوهم ، والوهم يضطرب حديثه ويتشعب ، ولا يقصد جهة واحدة ، فانت اذا اوهمت غيرك شيئا انما قصدت مغالطته فيه .

وأما التورية فانت اذا وريت كلامك كانك نقلته من قدام المخاطب الى ورائك أو ورائه ، وهذا اخص من الايهام فلهذه الدقة قلت : ان التورية أنسب (١٢) .

ثالثا : التوجيه : وهو من الاسماء التى أطلقها على التورية بعض

---

(٦) ينظر كتاب التبيان ص ٢٠٧ .
(٧) الاتقان ٢/٢٠٧ .
(٨) الفوائد الغياثية ص ٢٧٥ .
(٩) طراز الحلة ص ٤٤٧ .
(١٠) ينظر البرهان ٣/٤٤٤ .
(١١) خزانة الادب ٢/٣٩ .
(١٢) ينظر فض الختام ص ١٥٥ .

العلماء كبدر الدين بن مالك ، وابن أبى الاصبع والرعينى والحمـــوى والزركشى (١٣) .

ولكن بالنظر الدقيق يتضح أن هناك فرقا بين التورية والتوجيه ، وذلك أن التوجيه صبغ بديعى آخر ذكره علماء البلاغة منفردا بذاتـــه وعرفوه بقولهم : « ايراد الكلام محتملا لوجهين » (١٤) .

ولقد كان المتنبى ذا قدرة فائقة على توجيه الكلام ويظهر ذلـــك فى مدائحه المسماة بالكافوريات فان غالب أبياتها يحتمل الهجـــو ، ومنهـــا :

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب (١٥)

ثم ان هناك فروقا واضحة بين التورية والتوجيه كما يأتى :

(١) التورية تكون فى لفظ واضح ، كلفظ الغزالة فى قول أبى الفضل :

كأن كانون أهـــدى من ملابســـه
لشـــهر تمـــوز أنواعـــا من الحلل
أو الغزالة من طول المـــدى خـــرفت
فما تفـــرق بين الجـــدى والحمـــل(١٦)

على حين أن التوجيه يكون فى تركيب واحد أو جملة أســـماء كقول بشار :

خاط لى عمرو قبـاء ليت عينيـــه ســـواء

---

(١٣) ينظر المصباح ص ٢٦٠ ، تحرير التحبير ٢٠٨ ، بديع القرآن ص ١٠٢ ، طراز الحلة ص ٤٤٧ ، البرهان ٤٤٤/٣ ، خزانة الادب ٣٩/٢ .
(١٤) ينظر الايضاح - بغية الايضاح ٦٤/٤ .
(١٥) ينظر فض الختام ص ١٥٧ للصفدى .
(١٦) ينظر جواهر البلاغة ٣٨٤ للهاشمى ط . ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

(٢) لفظ التورية لفظ له معنيان بأصل الوضع ، أما ألفاظ التوجيه فليس فيها الا معنى واحد بأصل الوضع ويكون هو المقصود من الكلام ،

(٣) دلالة اللغة تدل على أن التوجيه يغاير التورية ، وذلك أن التوجيه : مصدر وجهت توجيها كما تقول كلمت تكليما ، فما يشدد الفعل الا اذا تكرر معناه ، وذلك أنك اذا جعلت الشيء ذا وجهين قلت : وجهته توجيها ، واذ كان الكلام ذا وجهين يلزم أن يكونا فى القرب والبعد عن فهم المخاطب على حد سواء وأن يتساويا فى الخفاء والظهور (١٧) .

(٤) يشترط فى التوجيه أن يكون مشتملا على احتمال الضدين ، وليس كل تورية تحتمل الضدين ، بل قد يكون بعض التوريات كذلك ومنها قول سراج الدين الوراق :

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت
فى قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قمن لها
على الرءوس وقلن الفضل للبادى

فاشتمل على ذكر البداوة والحضارة وهما ضدان (١٨) .

وقد عقد ابن أبى الاصبع فى كتابيه تحرير التحبير وبديع القرآن بابا سماه « الايهام » ، وعرفه بقوله : هو أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، ولا يأتى فى كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد به ايهام الامر فيهما قصدا (١٩) .

وليس ذلك الا ما يعرف لدى علماء البلاغة باسم التوجيه .

---

(١٧) ينظر فض الختام ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(١٨) ينظر السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
(١٩) تحرير التحبير ص ٥٩٦ ، بديع القرآن ص ٣٠٦ .

ثالثا : التخييل : وهو من الأسماء التى أطلقت أيضا على التورية وقد أطلقها الشهاب الحلبى وأبو بكر الرازى والزركشى والرعينى والنويرى (٢٠) .

ويذهب الدكتور أحمد مطلوب - أيضا - الى أن التورية من التخييل والى أن اطلاق اسم التخييل عليها أحسن من أن يطلق على ما فى كتاب الله عز وجل من روعة وتخييل ايهام (٢١) .

وسبق أن بينت أن هناك فرقا بين التورية والتخييل ، وأنه لا يصح أن يطلق على التورية تخييل ، لأن التخييل من علم البيان بخلاف التورية فانها صبغ من أصباغ علم البديع (٢٢) .

رابعا : المغالطة المعنوية : وممن عدها فى هذا الباب وانفرد بذكرها فيه : ضياء الدين بن الاثير فى قوله : « المغالطات المعنوية : وهذا النوع من أحلى ما استعمل فى الكلام وألطفه ، لما فيه من التورية ، وحقيقته : أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء آخر ونقيض ، والنقيض أحسن موقعا والطف مأخذا » (٢٣) ، ومثل له بأمثلة هى أمثلة التورية التى ذكرها علماء البلاغة ، وأبان أن المسلك الى تلك المعانى عسر جدا ، وأن الاجادة فيها قليلة (٢٤) .

وممن عد من أسماء التورية « المغالطة » أيضا : أبو بكر الرازى(٢٥) ، والعلامة الزركشى (٢٦) .

---

(٢٠) ينظر نهاية الادب ١٣٢/٧ ، البرهان ٤٤٥/٣ ، روضة الفصاحة ص ١١٤ ، معجم المصطلحات البلاغية ٣٨٣/١ وما بعدها .
(٢١) معجم المصطلحات البلاغية ٣٨٥/١ .
(٢٢) ينظر ما سيأتى عند الحديث عن بلاغة التورية .
(٢٣) ينظر المثل السائر ٧٦/٣ ، ٩٦ .
(٢٤) ينظر السابق ٨٠/٣ .
(٢٥) ينظر روضة الفصاحة ص ١١٤ .
(٢٦) ينظر البرهان ٤٤٥/٣ .

وهذه التسمية يمكن أن تعد قريبة من التورية (٢٧) ، وذلك لاشتمال التورية على الايهام البديع الموهم للمغالطة فى التعبير ، وان كنت أرى أنه لا يصح أن يطلق على التورية مغالطة ، وانما يمكن أن تعد من ألوان المغالطة المعنوية ، خاصة وأن الامام عبد القاهر أطلق على الاسلوب الحكيم الذى هو من صميم علم المعانى « المغالطة » وذلك عندما قال فى باب « تقديم مثل وغير » : « وكقول الذى قال له الحجاج لأحملنك على الأدهم - يريد القيد - ، فقال على سبيل المغالطة ، ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب » (٢٨) ، وقد مثل العلماء به للتورية أيضا (٢٩) ، وهذا ما يعرف بتراسل الامثلة فى فنون البلاغة .

خامسا : التخيير : وممن انفرد بتسميتها بذلك الاسم أيضا مشاركا لغيره من الأسماء واطلاق اسم التورية عليها ابن حجة الحموى (٣٠) والعلامة المراغى (٣١) ، وارى أن تلك التسميات لا داعى لها ، وأن الاولى أن تسمى بقريب الصلة بها ، والذى تراعى فيه مناسبة الألفاظ للمعانى وهو اسم « التورية » كما مر .

بلاغة التورية

أولى علماء البلاغة هذا اللون من أصباغ البديع العناية والاهتمام وذلك حيث أشاروا الى أهمية التورية ومكانتها فى بلاغة العرب ، فالعلامة ابن رشيق يعلى من قدرها قائلا : « .... انها من غرائب الشعر وملحه ، وانها بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتى بها

---

(٢٧) ينظر فض الختام ص ١٦١ .
(٢٨) ينظر دلائل الاعجاز ص ١٣٨ - تحقيق : محمود شاكر . نشر الخانجى بمصر .
(٢٩) ينظر الفوائد الغياثية ص ٢٧٥ .
(٣٠) ينظر خزانة الادب ٢/٣٩ .
(٣١) ينظر علوم البلاغة ص ٣٣٨ . أحمد مصطفى المراغى - ط المكتبة العربية .

الا الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه (٣٢) .

فهو وان كان قد خلط فى كتابه بين التورية والكناية الا اننا نلحظ من كلامه فى عبارته هذه تأكيده على أهمية التورية ... وأنه لا ياتى بها الا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر ، وذلك لما لها من دور فى احداث الهزة النفسية بالايهام الذى يكون فى اسلوبها .

كما يشير العلامة العلوى اليمنى الى اهميتها بقوله : .... ولكنها غير خالية عن تفنن فى الكلام واتساع فيه ، وتدل على تصرف بالغ وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعانى فهى غير خالية عن فن من فنون البلاغة وعلم البديع » (٣٣) .

وعندما نرجع الى المتأخرين من أصحاب البديعيات نلمح العلامة ابن حجة يدل على مكانتها فى البلاغة ومنزلتها فى فنون الأدب فيقول : « فان التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ويفتح بها ابواب عطف ومحبه » (٣٤) .

وقد نقل علماء البلاغة عن العلامة الزمخشرى ما يؤكد هذا المعنى حيث يقولون : وقال الزمخشرى - وهو حجة فى هذا العلم - لا ترى بابا فى البيان أدق ولا الطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تأويلات المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين (٣٥) .

---

(٣٢) ينظر العمدة ٣٠٢/٢ ابن رشيق القيروانى - ط دار الجيل بيروت .

(٣٣) ينظر الطراز ٦٢/٣ ، ٦٣ .

(٣٤) ينظر خزانة الادب ٣٩/٢ . للحموى - تعليق : عصام شعيتو .

(٣٥) ينظر روضة الفصاحة ص ١١٨ ، خزانة الادب ٤٠/٢ ، طراز الحلة ص ٤٥٣ ، الاتقان ١٠٨/٢ ، عقود الجمان ص ١١٣ .

ولكن بالرجوع الى تفسير العلامة المذكور وجدت تلك العبارة مذكورة عند تفسيره لقول الله عز وجل « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » (٣٦) ، ووجدته لم يشر فيها الى لفظ التورية ، وانما ذكر أن ما فى الآية أتى على طريقة التخييل (٣٧) ففهم زين الدين الرازى وابن حجة والنويرى والسيوطى (٣٨) ، أن ما فى الآية من قبيل التورية وأن الزمخشرى قصد ذلك وأتوا بهذه العبارة من كلامه دليلا على رأيهم ، وأن التورية عندهم يمكن أن تكون نوعا من التخييل ، وذلك لما فيها من الايهام ، وبذلك يكون التخييل ـ كما أطلق بعض العلماء ـ اسما من أسمائها (٣٩) .

وربما يكون مرد ذلك الى أن المصطلحات العلمية لم تكن قد استقرت وقتئذ أو أنه لا مشاحة فى الاصطلاح كما يذهب العلماء (٤٠) ، وان كنت أرى أن هناك فرقا بين التورية التى هى صبغ من أصباغ البديع ، والتخييل الذى هو من أركان علم البيان (٤١) .

من كل تلك الأقوال وهاتيك التعابير التى صدرت عن هؤلاء الأعلام أصحاب الذوق الرفيع فى فهم بلاغة هذه اللغة وبيان أسرار جمالها ، يتضح

---

(٣٦) سورة الزمر آية رقم ٦٧ .

(٣٧) ينظر الكشاف ٤٠٨/٣ ، ٤٠٩ ـ ط الحلبى .

(٣٨) ينظر روضة الفصاحة ص ١١٨ ، خزانة الادب ٤٠/٢ ، نهاية الارب ١٣١/٧ ، الاتقان ١٠٨/٢ ، عقود الجمان ص ١١٣ .

(٣٩) ينظر البرهان ٤٤٥/٣ للزركشى ، نهاية الارب ١٣١/٧ ، ١٣٢ ، طراز الحلة ص ٤٤٧ .

(٤٠) ينظر فض الختام ص ١٥٢ .

(٤١) لان التخييل كما يقول الامام عبد القاهر : « ما يثبت فيه الشاعر أمرا غير ثابت أصلا ، ويدعى دعوى لا طريق الى تحصيلها ، ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى ... » (ينظر أسرار البلاغة ٣٦/٢ ـ تحقيق د . خفاجى ـ نشر مكتبة القاهرة) ، وكذلك لأن الخيال ضد الحقيقة لانه من الطيف الذى يراه النائم وهو لا حقيقة له ، بخلاف التورية فان المتكلم فيها انما أراد الحقيقة ووراها . ينظر فض الختام ص ١٦١ .

مدى الأهمية التى يحظى بها هذا الفن من فنون البلاغة وذلك الصبغ من أصباغ بديع لغة القرآن الكريم ، والدلالة الأكيدة على دوره فى أداء المعنى وبعد المرمى ، وفرط المقدرة من الأديب وبراعته .

بل ان القيمة التعبيرية لهذا اللون التعبيرى من ألوان البديع ليمكن أن تظهر فى أوقات المحن والتسلط والاستبداد ، فيمكن للبليغ أن يقول ما يعتقد ويهاجم الاستبداد ويسخر منه من خلال أسلوب التورية الذى يشف عن المعنى ويومىء الى المغزى الذى يفهمه القارىء الفطن ويدركه الواعى المثقف (٤٢) .

وبذلك يكون للتورية جانبان : جانب جاد يتمثل فى أنها سلاح أدبى يستخدمه البليغ فى معالجة القضايا التى يؤمن بها ، والافكار التى يعتقدها دون خوف أو حساسية وجانب طريف يتمثل فى الملح والطرائف التى تروح عن النفس المكدودة المجهدة ، فتتحقق بذلك الوظيفة الفنية التعبيرية لها متجاوزه الوظيفة الشكلية التحسينية (٤٣) .

قدم التورية وأصالتها فى البلاغة العربية

العربى ذكى بطبعه الذى فطره الله عليه ، ولابد له من لماحية فى الأسلوب الذى يعبر به يستطيع بها أن يضيع الفرصة على خصمه والمناوىء له ، وأن يفلت من عقاب يمكن أن ينزل به ، أو يخرج من مازق يمكن أن يقع فيه ، خاصة وان الحياة فيها ما يمكن أن يعلن به وما يمكن أن يستر .

ولذلك كان من ميزات الطبع العربى البيان ، الذى أعرب عن فضله أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « ان من البيان لسحرا » (٤٤) ، والعرب فى بيانهم عن مكنون صدورهم انما كانوا

(٤٢ ، ٤٣) ينظر دراسات فى المعانى والبديع ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ . د . عبد الفتاح عثمان . ط مكتبة الشباب .

(٤٤) ينظر صحيح البخارى باب الطب : ٥٠ ـ ط الشعب .

يصدرون عن قريحة نقادة وبصيرة نفاذة ، ثم انهم ما كانوا فى تعابيرهم يعمدون الى تعمل أو تصنع ، وانما كانت التعابير تأتى عفو الخاطر منسجمة مع الفطرة السليمة وحسبما يقتضيها المقام فلم يعمدوا الى جناس أو طباق ولم يقصدوا الى تورية وذلك لانهم كانوا بالطبع يحرصون على المعنى قبل الحرص على الصياغة وهذا هو الذى حدا بالقاضى الجرجانى أن يقول : « وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب وشبه فقارب ويده فأغزر ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك فى خلال قصائدها ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر الى المحدثين ورأوا مواقع تلك الابيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف تكلفوا الاحتذاء عليها فسموها البديع فمن محسن ومسىء ومذموم ومقتصد ومفرط » (٤٥) .

وعلى ذلك فاننا نجد أن التورية التى هى لون من ألوان البديع قرين للتجنيس والمطابقة قديمة فى أساليب العرب شعرا ونثرا .

وان المتتبع للادب العربى القديم ليجد أن هناك أمثلة وردت فيها التورية عفوا لخاطر من غير معرفة لها بذلك الاسم الاصطلاحى التى هى عليه الآن ، وذلك لانها لم تكن هدفا يحشدون اليه كل طاقاتهم .

من ذلك ما روى عن عمرو بن كلثوم قوله :

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

يقول العلامة ابن حجة : الشاهد هنا فى « سخينا » فان العرب كانوا يسخنون الماء فى الشتاء لشدة برده ، ثم يمزجونها به ، فسخينا على

---

(٤٥) ينظر الوساطة ص ٣٣ ، ٣٤ القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط . عيسى الحلبى .

هذا التقدير نعت لموصوف محذوف ، والمعنى : فاضحى شرابا سخينا ، وهذا هو المعنى القريب المورى به .

ويحتمل السخاء الذى هو عبارة عن الكرم ، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه .

واستند ابن حجة لقوله ذلك بما قاله الجوهرى فى الصحاح : « قول من قال سخينا من السخونة ، نصب على الحال ليس بشىء ، فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا باموالنا ، كقول عنترة :

واذا سكرت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

والحص : الزعفران على احد الاقوال ، وهو الذى شبه صفرتها به ، فان قيل سخا مضارعه يسخو ، ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعلا على هذا التقدير ، فالاجماع عند اهل اللغة أن يقال : سخا يسخا وسخا يسخو ، وهذا مذهب الجوهرى فى الصحاح ، وعلى هـــذا التقدير فاشتراك التورية فى سخينا صـــحيح ممكن من الوجهين (٤٦) انتهى .

وذهب بعض الباحثين المعاصرين الى نفى أن يكون فى البيت تورية بقوله : « ولكن الغالب على الظن أن عمرو بن كلثوم كان بعيدا كل البعد بفكره وخياله عن هذه التاويلات وسوانح الافكار لأن الموقف الذى قيل فيه هذا البيت لا يحتمل تورية ولا ايهاما » (٤٧) .

ومما ورد أيضا من الشعر القديم فيه تورية ما استدل به البلاغيـون من قول النابغة الذبيانى : (٤٨)

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

---

(٤٦) ينظر خزانة الادب ٢/٤١ ، ٤٢ .

(٤٧) ينظر التصوير البيانى ص ٤٤٩ د . حفنى محمد شرف .

(٤٨) ينظر البديع فى نقد الشعر ص ٦٠ أسامة بن منقذ ، خزانة الادب ٢/٤٢ .

وذلك أن للصيام هنا معنيين : الاول : الامساك عن الطعام ورشحه ذكر علك اللجام والآخر المورى عنه وهو القيام وهو المعنى البعيد المراد .

ومع ذلك هل تعمد النابغة أيضا الايهام فى هذا البيت ، وهل هذا البيت من قبيل التورية ؟

ان ما قيل فى البيت السابق لعمرو بن كلثوم قيل فى هـــذا البيت أيضا (٤٩) ، وذلك لأن الحقيقة أن هذا البيت تصوير لحال الخيل وهى تحت عجاج المعركة اما متحركة واما واقفة حال كونها مغيظة متشـــوقة للقتال وهى تعلك اللجما ، والنابغة لم يعمد الى الايهام فى ذلك البيت ، ثم ان القول بأن الصيام فى البيت معناه القيام أو الامساك عن الطعـــام والشراب ، لا يساعده المعنى اللغوى للصيام ، وذلك لان الصيام فى اللغة يقصد به الامساك عن كل شىء يقول أبو عبيدة : « يقال لكل ممسك عن طعام أو شراب أو كلام أو عن أعراض الناس وعيبهم صائم . قال النابغة الذبيانى :

خيل صيام وخيل صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما »(٥٠)

ويقول العلامة الاصفهانى : « الصوم فى الاصل الامساك عن الفعل مطعما كان أو كلاما أو مشيا لذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائم قال الشاعر :

خيـــل صـــيام وأخـــرى غير صـــــائمة

وقيل للريح الراكدة صوم ولاستواء النهار صوم تصورا لوقوف الشمس فى كبد السماء ... » (٥١) .

---

(٤٩) ينظر التصوير البيانى ص ٤٤٩ د . حفنى محمد شرف .

(٥٠) ينظر مجاز القرآن ٦/٢ - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى - تعليق فؤاد سزاكين . مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٥١) ينظر المفردات فى غريب القرآن ص ٢٩١ الراغب الاصفهانى . ط . مصطفى البابى الحلبى .

فمن ذلك يتضح أيضا أن هذا البيت يمكن أن يعد من غير التورية لان النابغة لم يقصد فيه الى الايهام ، وان كان لا ينفى ورود التورية عن الاقدمين .

ولقد أفاد العلماء ورود التورية فى آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (٥٢) وذلك أن الاستواء له معنيان ، الاول القيام بالمكان والثانى : الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المراد من الآية بقرينة نفى الجرمية عنه سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله عز وجل « وجوه يومئذ ناعمة » (٥٣) أراد بها فى نعمة وكرامة ، والسامع يتوهم أنه أراد النعومة ، وكذلك قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » (٥٤) حيث أراد بالنجم النبات الذى لا ساق له والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب لا سيما مع تأكيد الايهام بذكر الشمس والقمر قبل ذلك (٥٥) .

وكذلك ما ورد منها فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى منها قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه عند خروجه من بدر فقيل له ممن أنتم ؟ فلم يرد أن يعلم السائل فقال : من ماء . أراد أننا مخلوقون من ماء ، فورى عنه بقبيلة يقال لها : ماء .

وكذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يزال المنام طائرا حتى يقص فاذا قص وقع) . ففى هذا الكلام توريتان : فى لفظة « طائر » ، ولفظة « يقص » ، ويحتمل أن يكون فى لفظة « وقع » أيضا تورية ثالثة (٥٦) .

---

(٥٢) سورة طه آية رقم
(٥٣) سورة الغاشية آية رقم ٨ .
(٥٤) سورة الرحمن آية رقم ٥ .
(٥٥) ينظر البرهان ٤٤٥/٣ ، روضة الفصاحة : ١١٤ ، الاتقان ١٠٧/٢ ، ١٠٨ .
(٥٦) ينظر خزانة الادب ٤٠/٢ ، طراز الحلة ص ٤٥٢ .

وكذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لامرأة مازحا : أزوجك الذى فى عينيه بياض ؟ ـ أراد ما حول الحدقة .

وما روى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم استدير رجلا من ورائـــه وقال : من يشترى منى العبد ؟ يريد عبد الله (٥٧) .

وقد وردت التورية أيضا فى كلام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الكرام ، من ذلك : قول الصديق أبى بكر رضى الله عنـــه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ فقال : هاد يهدينى . أراد هاديا يهدينى الى الاسلام ، فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر (٥٨) .

وكذلك ما روى عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فـــى الأشعث بن قيس : وهذا أبوه ينسج الشمال باليمين .

وذلك أن قيسا كان أبوه يحيك الشمال التى واحدتها شملة (٥٩) .

ومنها ما ورد عن العرب كقول الشاعر :

حملناهم طرا على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

وذلك أنه أراد بالحمل على الدهم تقييد العدا بالقيد وهو المعنـــى البعيد المورى عنه ، وان كان المعنى القريب غير المراد للدهم هو اركابهم الخيل الدهم (٦٠) .

ومثله ما ورد فى قول الحجاج للقبعثرى : لاحملنك على الأدهم ، قال : مثل الامير يحمل على الأدهم والأشهب .

---

(٥٧) ينظر احكام صنعة الكلام ص ١٨٥ للكلاعى ـ ط . عالم الكتب بيروت .

(٥٨) ينظر خزانة الادب ص ٤١ ، طراز الحلة ص ٤٥٣ .

(٥٩) ينظر تحرير التحبير ص ٢٥٨ .

(٦٠) ينظر المصباح ص ٢٦٠ ، خزانة الادب ٢/٤٢ .

حيث أبرز وعيده فى معرض الوعد متغابيا ، لكان لفظ أحملنك على ألطف وجه (٦١) .

وكذلك ما ورد فى شعر بعض الشعراء الاسلاميين كما فى قول يحيى ابن منصور الحنفى :

وجـــدنا أبانـــا حـــل ببـــلدة
سوى بين قيس قيس غيـــلان والغزر
فلما نأت عنـــا العشـــيرة كلهـــا
أنخنا فحالفنا الســيوف على الدهـــر
فما أسلمتنا عند يـــوم كريهـــة
ولا نحن أغضينا الجنون على وتـــر

وهذا من التورية المرشحة ، وذلك لان التـــورية وقعت فى لفظ « الجفون » ، ولفظ « أغضينا » قبله قد رشحه الى التورية ورجحـــه فى الظاهر لارادة اغماض جفون العيون على اغماض جفون الســـيوف ـ يعنى اغمادها ـ ، لان السيف اذا أغمد أطبق الجفن ، واذ جرد انفتح للخلاء الحاصل بين الدفتين ، لكن دل سياق كلامه على ارادة أنهـــم لا يغمدون سيوفهم ولهم وتر عند أحد . قال بدر الدين بن مالك : « وهذا من ألطف تورية وقعت لمتقدم » (٦٢) .

ومنها أيضا ما ورد عن البحترى قوله :

ووراء تسدية الوشاح ملية بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

وذلك أن لفظة « تملح » تحتمل المعنى القريب غير المراد وهو الملوحة

---

(٦١) ينظر الفوائد الغياثية ص ٢٧٥ .
(٦٢) ينظـــر المصـــباح ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ـ بـــدر الدين بن مالك ، الايضاح ـ بغية الايضاح ٤/٣٠ .

ورشحت بقوله : تعذب ، وتحتمل المعنى البعيد المراد الموري عنه وهو الملاحة (٦٣) .

وما ورد أيضا قول أبى الطيب المتنبى :

برغم شبيب فارق السيف كفه
وكانا على العلات مصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه
رفيقك قيسى وأنت يمانى

فالشاعر أراد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان ، لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يمانى ، فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ، ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر (٦٤) .

من كل ما سبق يتضح أن التورية قديمة فى كلام العرب شعرا ونثرا وأن ما وصل الينا انما هو أقل القليل ، ولعل ذلك هو الذى دعا ابن الاثير الى أن يقول : « المسلك الى تلك المعانى وتصحيح المقصد فيها عسر جدا ، لا جرم أن الاجادة فيها قليلة » (٦٥) .

والتى جعلت العلامة الرعينى يعبر بقوله : « اعلم أن التورية من البديع بمنزلة الانسان من العين ، وسمت فى البلاغة سمو الذهب العين ، وكأن خواطر المتقدمين بها شحيحة ، وأفهامهم لا تقصدها وان كانت سليمة صحيحة ، لكنها ربما وقعت لهم عفوا ، ووردوا من حسنها موردا صفوا ، وما زالت تلك المحاسن تحفظ نقابها وتكشف للمولدين حجابها الى أن لمحها أبو الطيب أول من جليت وظهرت فى أشعاره فحلت

---

(٦٣) ينظر البديع فى نقد الشعر ص ٦٠ ، فض الختام ص ١٦٦ ، خزانة الادب ٢/٤٢ .
(٦٤) ينظر خزانة الادب ٢/٤١ ، طراز الحلة ص ٤٤٩ .
(٦٥) ينظر المثل السائر ٣/٨٠ .

بها وحليت » (٦٦) .

ويقول السيوطى : « وأول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالهـا المتنبى وتلاه أبو العلاء فاتى بها على المقادة وتكلف ، ثم القاضى الفاضل وهو الذى كشف بعد طول تحجب ستر حجابها ثم تدوالها الناس بعده فسموا الى أفقها وأطعوا شموسها » (٦٧) .

فالتورية قد عرفها الأقدمون والمخضرمون ، وان كانوا لم يعمـدوا اليها ، وانما جاءت فى كلامهم على حسب الفطرة السليمة دون اعمال فكر أو تصنع لها ، بل كانت مما يستدعيه المعنى استدعاء كبقية محسـنات البديع عندهم ، فهم قد عرفوا ألوان البديع صورا جميلة تكسـب الكلام حسنا من غير أن يعرفوا أسماءها وأقسامها (٦٨) .

---

(٦٦) ينظر طراز الحلة ص ٤٤٩ .

(٦٧) ينظر عقود الجمان ص ١١٣ .

(٦٨) ينظر ابن أبى الاصبع المصرى بين علماء البلاغة ص ٣٤ . د . حفنى محمد شرف .

التورية بين الاثبات والنفى فى القرآن الكريم

يذهب بعض العلماء الى أنه لا توجد توريـــة فى القـــرآن الكريم وحجتهم فى ذلك أن التورية مبناها على الايهام ، وأن المتكلم عندما يذكر لفظا له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ، فانما يعمد الى لون مـــن ألوان الخداع والتضليل والكذب والغش ، والقرآن منزه عن ذلك ، وأن ما ورد من ذلك انما مبناه على الاستعارة التمثيلية أو الكناية .

ولكنى فى الحقيقة ـ مع تقديرى لهذا الرأى ـ لا أميل اليه ، وذلك لانى أرى أن القرآن مع أنه كتاب هداية ورشد ، جاء على أساليب العرب ووفق طرائق التعبير عندهم ، حاملا فى أطوائه دلائل الاعجاز ووسائل القهر لأرباب الفصاحة وأساطين البلاغة الذى ملكوا ناصية البيان ، وقد شهد بذلك العلامة الرازى فى قوله : « ان الله تعالى انما أنزل القـــرآن بحسب عرف أهل اللسان وعادتهم ألا ترى أنه تعالى قـــال : « وهـــو خادعهم » ، وقال : « وهو أهون عليه » ، وقال : « ومكروا ومكر الله » ، وقال : « الله يستهزى بهم » ، والمراد من الكل أنه تعالى يعاملهم معاملة الخادعين والماكرين والمستهزئين » (١) .

ثم ان ما قيل فى أسباب نفى التورية فى القرآن الكريم ، سبق وقيل مثله فى نفى وجود المجاز فى القرآن (٢) مما تكفل العلماء بالرد عليـــه أيضـــا .

بل اننا لنجد أن من العلماء من أثبت وذكر امكان وجود التورية فى القرآن ، وان من يتتبع كتابات هؤلاء السابقين ليجدها مذكورة عندهـــم وان لم يذكروها باسمها الاصطلاحى التى هى عليه الآن .

---

(١) ينظر أساس التقديس ص ١٥٧ الفخر الرازى ـ ط . مصـــطفى الحلبى .

(٢) ينظر منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والاعجاز . محمد الامين الشنقيطى . ط . مؤسسة قرطبة الهرم ـ القاهرة .

من هؤلاء القاضى عبد الجبار حيث يشير فى كتابه متشابه القرآن الى وجود ذلك الاسلوب فى القرآن وذلك عندما يدفع قول المشبهة بأن الله تعالى جسم يحتاج الى مكان ، ويتعرض لبيان معنى الاستواء فى قول الله عز وجل : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء » (٣) ، فيخرج الآية عدة تخريجات كلها تنزه المولى عز وجل عن المكان ومشابهة الحوادث قائلا : « الاستواء محتمل فى اللغة وتختلف مواقعه بحسب ما يتصل به من القول ، فقد يراد به الاستيلاء والاقتدار وهو الذى عناه الشاعر بقوله :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وانما أراد أن بشر بن مروان استولى على العراق واقتدر عليها وعلا وظهر ، لأنه لا يجوز أن يمدحه بانه جالس فى موضع بالعراق ، لأنه لو أراد المكان لذكر موضعا مخصوصا ، لأن كل العراق لا يكون مكانا لاستوائه ، وقد يقول الفصيح : قد استوى لفلان هذه المملكة ، واستوى له هذا الأمر ، وقد يراد بالاستواء تساوى الأجزاء المؤلفة ، وذلك نحو قولهم : استوى الحائط واستوت الخشبة اذا تالفت على وجه مخصوص .

وقد يستعمل ذلك بمعنى القصد فيقال : استويت على الأمر ، واستقام لى بمعنى قصدت اليه .

وقد يقال : استوى حال فلان فى نفسه وماله ويراد بذلك زوال الخلل والسقم ، وقد يراد بذلك الانتصاب جالسا أو راكبا أو قائما كما يقال : استوى فلان على الكرسى وعلى دابته ، فلفظ الاستواء يدور حوله معنى الاستيلاء والاقتدار وتساوى الأجزاء والقصد والانتصاب جالسا أو راكبا (٤) .

---

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٩ .

(٤) ينظر متشابه القرآن ١/٧٤ ، ٧٥ - القاضى عبد الجبار - ط . دار التراث - القاهرة ، أساس التقديس ص ١٥٧ .

فالقاضى يدفع بقوة ما يقوله المشبهة من حاجة الله تعالى الى مكان ، ولذلك يخرج الآية عدة تخريجات لينزه المولى عز وجل عن المكان ومشابهة الحوادث .

وبالنظر فى الآية الكريمة نرى أن الاستواء المذكور فيها ليس على حقيقته وانما المراد به الاستيلاء والاقتدار ، وهو الوجه الذى ذكره القاضى، وذلك التوجيه منه يمكن أن يكون هو ما يطلق عليه العلماء المتأخرون اسم التورية أو الايهام (٥) .

وكذلك ما ذكره ابن أبى الاصبع فى قوله تعالى : « قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم » (٦) ، فانظر الى كون الضلال ههنا يحتمل الحب وضد الهدى وكيف استعمله أولاد يعقوب عليه السلام ضد الهدى فوروا عن الحب ليعلم أن المراد ما أهملوا لا ما استعملوا ، فستجده أوجز لفظ وأحلاه (٧) .

وقد أشار الى ذلك المعنى ابن السيد البطليوسى فى بيانه لقول الله عز وجل : « ووجدك ضالا فهدى » (٨) قائلا : « **حيث وجدك محبا فى الهدى فهداك فتأولوا الضلال هنا بمعنى المحبة** » ، وهذا حسن جدا وله شاهد من القرآن واللغة :

أما شاهده من القرآن : فما حكاه من قول اخوة يوسف لأبيهم : « تا لله انك لفى ضلالك القديم » ، انما أردوا بالضلال ههنا افراط محبته فى يوسف صلى الله عليه وعلى رسله جميعهم .

وأما شاهده من اللغة : فانه جائز فى مذاهب العرب أن تسمى المحبة ضلالا لأن افراط المحبة تشغل عن كل غرض وتحمله على الاغفال والنسيان

---

(٥) ينظر بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار ص ٤٠٣ ، ٤٠٩ .
(٦) سورة يوسف آية رقم ٩٥ .
(٧) ينظر تحرير التحبير ص ٢٥٩ ، بديع القرآن ص ١٠٢ .
(٨) سورة الضحى آية رقم ٧ .

لكل واجب مفترض ، ولذلك قيل : الهوى يعمى ويصم ، فسميت المحبة ضلالا اذ كانت سبب الضلال على مذاهبهم فى تسمية الشىء باسم الشىء اذا كان منه بسبب (٩) .

ومنها أيضا قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : « اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه » (١٠) يقول ابن الاصبع : ان لفظة « ربك » رشحت لفظة ربه ، لأن يكون تورية اذ يحتمل أن يراد بهـــا الاله ـ سبحانه ـ ، والملك فانه لو اقتصر على قوله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه لم تدل لفظة ربه الا على الاله ، فلما تقدمت لفظة ربك صلحت للمعنيين (١١) . وكذلك ما ذكره العـــلامة محمد بن أبى بكر الـرازى والعلامة الزركشى من امكان وجودها فى القرآن الكريم واستدلاله بقولـه تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » (١٢) فيقول : « أراد بالنجم النبات الذى لا ساق له والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب ، لا سيما مع تأكيد الايهام بذكر الشمس والقمر قبل ذلك فى قوله تعالى : « الشمس والقمـــــر بحسبان » (١٣) .

ومثله قوله تعالى : « وهو قائم يصلى فى المحراب » (١٤) والمراد بالمحراب الغرفة ، فلله در القرآن فى احاطته بفنون البلاغة وأسرارها ، لا تكاد تستغرب منها فنا الا وجدته على أقوم مناهجه وأسد مذارجه .

---

(٩) ينظر التنبيه على الاسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين ص ١٢٠ ـ ابن السيد البطليوسى . تحقيق د . حمزة النشرتى ـ ط . دار المريـــخ .

(١٠) سورة يوسف آية رقم

(١١) ينظر تحرير التحبير ص ٢٥٩ .

(١٢) سورة الرحمن آية رقم ٦ .

(١٣) سورة الرحمن آية رقم ٥ .

(١٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٩ .

وكذلك قوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » ، أراد بالأيدى القوة لا الجارحة تعالى الله ونعوذ بالله من ذلك (١٥) .

وقد سبق القاضى عبد الجبار الى ذلك المعنى حيث يقول فى هـذه الآية : « أليس ذلك يدل على جواز الجوارح على الله تعالى » ؟

وجوابنا : أن المراد به بالقوة والقدرة ، ولولا ذلك لوجب اثبات أيدى كثيرة له تعالى من ذلك (١٦) .

فالقاضى أوضح أن المراد من اليد ـ فى الآية ـ القوة والقدرة ، وأنه لم يرد بها معناها الحقيقى لاستحالته على الله تعالى وأريد المعنى البعيد لها وهو القوة والقدرة ، وقد ذكر فى الآية ما يناسب المعنى القريب وهو الجارحة وهو « بنيناها » وهل ذلك الا ما يعرف عند علماء البلاغة باسم التورية المرشحه (١٧) .

وقد ورد فى تفسير الكشاف اشارة اليها تقرب من معناها اللغوى الدال على الستر والاظهار وذلك عند تفسير قوله تعالى : « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء

---

(١٥) ينظر روضة الفصاحة ص ١١٤ ، ١١٥ ، البرهان ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ للزركشى . والمذكور فى هذه الآية هو مذهب أهل الظاهر من المفسرين ، وأما على مذهب أهل التحقيق فانهم يرون أن هذه هذه الآية يمكن أن تعد من قبيل الاستعارة التمثيلية .

ويمكن أن تكون من قبيل الكناية ، وذلك بأن يقال : أطلق اسم الملزوم وهو البناء بالايدى الحسية وأريد اللازم ، وهو ايجاد الله السماء بالقـدرة على سبيل الكناية . وكذلك يرون أن قوله تعالى : « الرحمن على العـرش استوى » مجاز متفرع على الكناية . وهو يعد من أمثلة التورية فى القرآن الكريم أيضا . ينظر (الاطول ١٩٥/٢) للعصام .

(١٦) ينظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٤٠٢ . القاضى عبد الجبار .

(١٧) ينظر بغية الايضاح ٣٠/٤ عبد المتعال الصعيدى .

وفوق كل ذى علم عليم » (١٨) حيث يأتى الزمخشرى باعتراض ويجيب عليه فيقول : فان قلت : ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا ، فمن أى وجه حسن هذا الكيد ، وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله : « انكم لسارقون » (١٩) . « فما جزاؤه ان كنتم كاذبين » (٢٠) .

قلت : هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لأن قوله : « انكم لسارقون » تورية عما جرى السرقة من فعلهم بيوسف ... » (٢١) .

ثم يبين الزمخشرى القيمة الفنية لذلك الاسلوب فيقول : « هـــذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية » كقوله تعالى لأيوب عليه السلام « وخذ بيـدك ضـــغثا » (٢٢) ليتخلص من جلدك ولا يحنث ، وكقول ابراهيم عليه السلام « هى أختى » لتسلم من يد الكافر ، وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد .

وقد أعلم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف عليه السلام مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة ، وانزاحت عنها وجوه القبح (٢٣) .

ولعل فى اشارة العلامة الزمخشرى الى قيمة ذلك الاسلوب وجواز تلك الحيلة فى الشرع لدرء المفاسد والتحرز عن الكذب بأسلوب مقبول حسن ما يدفع قول القائلين بتنزيه القرآن عن وجود ذلك الاسلوب فيه .

---

(١٨) سورة يوسف آية رقم ٧٦ .
(١٩) سورة يوسف آية رقم ٧٠ .
(٢٠) سورة يوسف آية رقم ٧٤ .
(٢١) ينظر تفسير الكشاف ٢/٣٣٥ .
(٢٢) سورة ص آية رقم ٤٤ .
(٢٣) ينظر المرجع السابق .

وان كان للدكتور / محمد ابو موسى رأى فى هذه الآية ، حيث يرى التورية هنا أقرب الى المعنى اللغوى الذى الاختفاء فية من قولهم وراه تورية ، أخفاه كواراه لأنه عليه السلام أخفى مزاده فى هذا التعبير .

ثم يقول : وليس للزمخشرى حديث عن التورية فى تفسيره الا هذه الاشارة الغامضة ، ويرى أن ذلك راجع الى أن هذا اللون البديعى لم يكثر فى القرآن الذى جرى اسلوبه على أعراق البلاغة الأصلية متسما بوضوح الفطرة الانسانية الصادقة .

وأن ما ورد من شواهد القرآن لأسلوب التورية غير مسلم للخطيب كقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (٢٤) ، « والسماء بنيناها بأيد » (٢٥) لأن هذه من صور البيان وقد كره عبد القاهر أن تفسر اليد هنا بالقدرة ، وأن سعد الدين قال : ان الخطيب جرى فى هذا على مذهب أهل الظاهر من المفسرين .

وهذا يعنى أن الخطيب خالف شيوخ البيان حيث اعتبر هذه الأمثلة من التورية (٢٦) ، وان كان ذلك لا يعنى عدم ورودها فى آيات من القرآن الكريم كما ذكر عن العلماء (٢٧) ، بل انه قد علمنا من شيوخنا أن النكات البلاغية لا تتزاحم فى المثال الواحد ، وأن ذلك لا ينافى اعجاز القرآن وبلاغته القاهرة ، بل الى مثل ذلك ذهب ابن يعقوب المغربى حيث يقول : « فان قلت فعلى هذا الذى جعل من التحقيق ، هل يصح أن يكون

---

(٢٤) سورة طه آية رقم ٥ .

(٢٥) سورة الذاريات آية رقم ٤٧ .

(٢٦) ينظر البلاغة القرآنية ص ٤٩٤ .

(٢٧) ينظر تحرير التحبير ص ٢٥٩ - بديع القرآن ص ١٠٢ ، ينظر روضة الفصاحة ص ١١٤ ، ١١٥ ، ينظر البرهان ٣/٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ينظر الاتقان ٢/١٠٧ ، ١٠٨ ، ينظر عقود الجمان ص ١١٢ .

التركيب تورية أو لا ؟ قلت : لا مانع من ذلك مع خفاء القرينة لأنهم لـــم يشترطوا فى التورية افراد اللفظ » (٢٨) .

ومما يؤكد ورود التورية فى القرآن ، ورودها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى زكاه ربه بقوله : « وما ينطق عن الهوى » (٢٩) ، فى أكثر من موضع وكما مر فى البحث ، وكذلك ورودها عن الصـــحابة الكرام رضى الله عنهم (٣٠) . فذلك كله يؤكد ويدلل على خروج التورية عن الكذب وأنها فن لطيف ومنهج من مناهج البلاغة القرآنية التى أخرست الفصحاء وقهرت البلغاء .

---

(٢٨) ينظر مواهب الفتاح ٣٢٦/٤ ـ شروح التلخيص ـ ط . عيسى الحلبى .

(٢٩) النجم (٣) .

(٣٠) ينظر خزانة الأدب ٤٠/٢ ، ٤١ ـ للحموى ، طراز الحـــلة ص ٤٥٣ .

أنـــواع التوريـــة

لم يحاول أحد ممن تقدم على القرن السابع الهجرى تقسيم التورية وبيان الأنواع التى هى عليها الآن فالسكاكى ذكرها باسم الايهام ، وابن الأثير باسم التورية فى المغالطات المعنوية وكذلك ابن أبى الاصبع وأبو بكر الرازى ، ولكن بدر الدين بن مالك أشار الى أنها تنقسم الى أربعـــة أضرب : مجردة ، مرشحة بما قبلها ، مرشحة بما بعدها ، ومرشـــحة بلفظين كل منهما يرشح صاحبه لها ومثل لكل ذلك (١) .

أما الخطيب القزوينى فيختصر الأمر ويذكر أنها اما مجردة أو مرشحة ، والمرشحة اما أن تقرن بما يلائم الموري به : اما قبلها واما بعدها (٢) .

ثم يأتى الصفدى فيذكر أن التورية : تارة تكون مجردة ، وتارة تكون مبينة ، وتارة تكون مرشحة ، وتارة تكون مهيئة (٣) ، وتلك الأنـــواع على ما يأتى :

أولا : التورية المجردة :

وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم الموري به - وهو المعنـــى القريب - ولا من لوازم الموري عنه - وهو المعنى البعيد - أو ذكر لكل واحد منهما لازم فتكافآ (٤) .

وذلك كقول الله عز وجل : « الرحمن على العرش استوى » حيث ان الاستواء فيها على معنيين أحدهما : الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب بحسب الاستعمال ، الثانى : الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد

---

(١) ينظر المصباح ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٢) ينظر الايضاح - بغية الايضاح ٤/٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .
(٣) ينظر فض الختام ص ١٦٣ وما بعدها .
(٤) ينظر طراز الحلة ص ٤٥٠ .

بحسب الاستعمال وهو المراد هنا ، ولم يذكر من لوازم كل منهما شيء فالتورية على ذلك مجردة .

وأما ما ذكر فيه ما يلائم المعنى القريب والمعنى البعيد قول بعضهم :

نقل الأراك بأن ريقة ثغرها
من خمرة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الأراك لأنه
يرويه نقلا عن صحاح الجوهرى

وذلك أن صحاح الجوهرى يحتمل أن يكون الكتاب المعروف فى اللغة ويشهد له الرواية والنقل ، ويحتمل مبسم المحبوبة ويشهد له لفظ الأراك (٥) .

ثانيا : التورية المرشحة :

وهى التى يذكر فيها لازم المورى (٦) به وسميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به ، وذلك أن المورى به يكون غير مراد ـ فكأنه ضعيف ـ فاذا ذكر لازمه تقوى (٧) . وهو تارة يذكر قبل لفظ التورية وتارة بعده ، فهو قسمان :

أ ـ ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية كقوله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » (٨) وذلك أن لفظ « أيد » يحتمل الجارحة وهو

---

(٥) ينظر السابق ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ .
(٦) المراد باللازم شيء يختص بأحد المعنيين دون الآخر كالاشراق والضوء فانه لو ذكر مع لفظ الغزالة لترجح جانب الشمس ، والجيد واللاحظ لو ذكر لترجح جانب الحيوان . ينظر نفحات الازهار ص ١٨٨ .
(٧) ينظر طراز الحلة ص ١٥٠ .
(٨) سورة الذاريات آية رقم ٤٧ .

المعنى القريب الموري به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ، ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهو المعنى البعيد الموري به ، لاستحالة المعنى الاول على الذات العلية .

ب ـ ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية كقول الشاعر :

مـــذ همت من وجـــدي فى خالهـــا
ولـــم أصـــل منـــه الـــى اللثـــيم
قالت قفـــوا واســـتمعوا ما جـــرى
خالى قـــد هـــام فـــى عمـــى

فلفظ الخال يحتمل أن يكون خال النسب وهو المعنى القريب الموري به ، وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم (٩) .

ثالثا : التورية المبينة :

وهى التى فيها لازم الموري عنه مقدما أو مؤخرا ، وسميت بذلك لتبين الموري عنه بذكر لازمه اذ كان قبل ذلك خفيا لأنه المعنى البعيد فلما ذكر لازمه تبين (١٠) .

أ ـ ومثال المقدم قول البحترى :

ولـــو أننى أنصـــف فى شرع الهـــوى
مـــا شـــمت بارقـــة ورأى أشـــيب
ووراء تســـدية الوشـــاة مليـــة
بالحســـن تملح فى القـــلوب وتعذب

---

(٩) ينظر معجم المصطلحات البلاغية ١/٣٨٨ .
(١٠) ينظر طراز الحلة ص ٤٥٠ .

وذلك أن قوله : « ملية بالحسن » من لوازم الموري عنه ، تقول : ملح الماء يملح ملوحا فهو ملح ، وملح الشيء يملح ملوحة وملاحة فهو مليح أي حسن (١١) .

ب ـ وأما المؤخر فكقول الشاعر :

أرى ذنب السرحان في الأفق ساطعا فهل ممكن أن الغزالة تطلع

وذلك أن قوله « ذنب السرحان » يحتمل ضوء الفجر وهو المعنى البعيد الموري عنه وهو المراد وقد بينه بذكر لازمة بعده وهو قوله « ساطعا » ، ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهو الذئب وهو المعنى القريب الموري به (١٢) .

وأيضا في قوله « الغزالة » يحتمل الشمس وهو المعنى البعيد الموري عنه المراد ، وقد بينه بذكر لازمه بعده وهو قوله تطلع ، ويحتمل الحيوان المعروف وهو المعنى القريب الموري به .

رابعا : التورية المهياة :

وهي التي يكون اللفظ لا يتهيأ فيه تورية الا باللفظ الذي بعده أو قبله ، أو تكون التورية في لفظين لولا كل واحد منهما لما تهيأت التورية في الآخر (١٣) .

والتهيؤ اما أن يكون من طرف واحد كقول ابن الربيع :

---

(١١) ينظر فض الختام ص ١٦٨ . وقال الرعيني وفيه نظر لان قوله تعذب من لوازم الموري به الذي هو الملوحة فقد تعارض اللازمان فينبغي أن يكون هذا البيت من القسم الثاني من المجردة والا فليس اعتبار أحد اللازمين بأولى من الآخر . طراز الحلة ص ٤٦٥ .

(١٢) طراز الحلة ص ٤٦٣ .

(١٣) ينظر طراز الحلة ص ٤٥١ ، ص ٤٧٣ .

لـــولا التطير بالخـــلاف وأنهـــم
قـــالوا مريض لا يعـــود مريضـــا
لقضيت نحبى فى فنـــائك خدمـــة
لأكـــون مندوبـــا قضى مفروضـــا

فلو لم يذكر مندوبا بعد مفروض لما كان فيه تورية ألبتة ، ولكن لفظ مفروض هو الذى هيأ للتورية ٠

وأما التهيؤ من الطرفين فكقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :
أيهـــا المنـكح الثريـــا ســـــهيلا
عمـــــرك اللـــه كيـف يلتقيـــان
هـــى شـــامية اذا مـــا اســـتقلت
وســـــهيل اذا مـــا اســـتقل يمانى

والشاهد فى قوله « الثريا وسهيل » وذلك أن الثريـــا يحتمل بنت على بن عبد الله بن الحارث ـ وكانت نهاية فى الحسن وغاية فى الجمال ـ وهو المعنى البعيد المراد ٠ ، وتحتمل الثريا التى فى السماء وهو المعنـــى القريب الموارى به غير المراد ٠

وسهيل يحتمل : سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وهو المعنـــى البعيد غير المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهو المعنى القـريب الموارى به ، ولولا ذكر الثريا لما فهم سهيل الذى هو النجم ، ولولا ذكر سهيل لما فهمت الثريا التى هى النجم فكل واحد منهما هيأ صـــاحبه للتورية (١٤) ٠

ثم ان قوله « شامية ويمان » ليسا مختصين بلوازم الموارى عنه فتكون مبينة ، ولا بلوازم الموارى به فتكون مرشحة ، فان الثريا بنت على أيضا

---

(١٤) ينظر طراز الحلة ص ٤٥١ ، ص ٤٧٣ ٠

شامية دار وقبيلة ، وسهيل المذكور يمانى الدار والقبيلة فتساوى المورى به والمورى عنه فى الطرفين ، وهيأ كل واحد منهما صاحبه للتورية ، ومن هنا يتبين أن المهيأة أخص من المجردة لانها كلما صدقت صدقت (١٥) .

بين التورية وغيرها من الفنون

لابد من هذه الفروق التى قررها العلماء لتثبت فى ذهن الدارس لأسلوب التورية ، وذلك حتى لا تختلط التورية بغيرها ، فلابد من الحدود الفاصلة والتوضيحات المميزة .

أولا : الفرق بين التورية والمجاز :

يذهب ابن يعقوب المغربى الى أن الفرق بين التورية والمجاز مبنى على خفاء القرينة بقوله : فان قيل : المعنى البعيد فى التورية مرجوح الاستعمال لا يكون اللفظ فيه الا مجازا ، وهذا المعنى موجود فى كل مجاز فيكون كل مجاز تورية وظاهر كلامهم أن التورية حقيقة مباينة للمجاز ، والا كان كل مجاز من البديع ، قلت : بعد تسليم أن المعنى لا يكون اللفظ فيه الا مجازا لا يلزم منه اتحاد المجاز والتورية فيكون اللفظ مجازا باعتبار اطلاقه على غير معناه مع وجود القرينة الصارفة عن الأصل ، ويكون تورية باعتبار كون المراد بعيدا مع خفاء القرينة لما تقدم أنا نشترط فى كونه تورية خفاء القرينة فتلاقى التورية المجاز فى مادة واحدة مع كونها غيره (١٦) فان ظهرت القرينة لم تلاقة أصلا (١٧) .

على أن قول ابن يعقوب بأن مبنى الفرق على خفاء القرينة غير مسلم له - كما يقول الدكتور أحمد موسى - وذلك لأنه كم من مجاز واقع

---

(١٥) ينظر فض الختام ص ١٧٤ .

(١٦) وذلك أن لفظ استوى مجاز باعتبار استعماله فى غير معناه بالقرينة ، وتورية باعتبار ارادة المعنى البعيد بقرينة خفية (ينظر مواهب الفتاح - شروح التلخيص) ٣٢٣/٤ ، ٣٢٤ .

(١٧) ينظر السابق ٣٢٣/٤ .

موقعه من الروعة والخلابة والسحر والجمال قد خفيت قرينته ، وبعدت عن كثير من الأذهان ، وكم من تورية فى عرفهم ظهرت قرينتها ومع ذلك لا يضنون عليها بهذا الاسم ، وقد فرق عبد الحكيم بين التورية والمجاز والكناية ، بأن مبنى التورية على ألا يعتبر بينهما لزوم وانتقال من أحدهما الى الآخر ... ثم قال : وبه تمتاز التورية عن المجاز والكناية ، وبهذا ظهر أن التورية ليست من ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة حتى تكون من علم البيان .

نعم اذا كان المعنيان مجازيين أو أحدهما مجازيا كانت من علم البيان بالنسبة الى المعنى الحقيقى لهما أو لاحدهما ، وأما بالنسبة الى المعنى الذهنى الذى هو تورية بالقياس اليه فلا اذ لا علاقة بينهما ولا انتقال من أحدهما الى الآخر (١٨) .

ثانيا : الفرق بين التورية والأحاجى والالغاز :

ذهب علماء البلاغة الى التفرقة بين أسلوب التورية والأحاجى والالغاز ، لأن المقصد من كل منهما يختلف عن الآخر ، مع أن كلا منهما يشترك فى أنه من أنواع المغالطة المعنوية .

وذلك أن التورية تكون باللفظ المشترك وهى دالة على أحد المعنيين على جهة البدلية وضعا وقد يراد المعنيان جمعا والمدار فى ذلك انما هو على القصد والنية ، بخلاف الالغاز فانه ليس دالا على المعنيين بطريق الاشتراك وضعا ولكنه دال على معنى من جهة لفظه وعلى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ (١٩) . وبذلك تتفاوت الأذهان فى استخراجه بحسب حدتها وضراوتها عليه (٢٠) .

---

(١٨) ينظر حاشية الدسوقى ٤/٤٢٣ ، الصيغ البديعى ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(١٩) ينظر الطراز ٢/٦٢ ، ٦٣ .

(٢٠) ينظر طراز الحلة ص ٤٨٢ .

ثالثا : الفرق بين التورية والاستخدام :

ربما يحدث بعض التباس بين التورية والاستخدام ولكن بامعان النظر فى الأسلوبين يتبين بوضوح أن بينهما فرقا ، وذلك أن التورية يستعمل فيها المعنيان فى اللفظ مع اهمال الآخر منهما ، لكنهما - أى المعنيان - فى الاستخدام يستعملان معا بقرينة (٢١) .

رابعا : الفرق بين التورية والجناس :

قد يظن البعض أن التورية تشبه الجناس الى حد ما وذلك أن كلا منهما يتحقق بكلمة لها معنيان لكن بالنظر يظهر أنها تفارقه من أمور :

١ - الجناس لابد فيه من تكرار الكلمة فتذكر مرة بمعنى ثم تعاد آخر بخلاف التورية فلا تكرار فيها .

٢ - المعنيان فى الجناس سواء من حيث القرب والبعد ، بخلاف المعنيين فى التورية فان أحد المعنيين فيها قريب متبادر الى الذهن ، والآخر بعيد خفى .

٣ - المعنيان مرادان فى الجناس أما فى التورية فأحدهما هو المراد (٢٢) .

خامسا : التورية واللفظ المشترك :

هل كل مشترك يمكن أن تقع فيه التورية ؟

يرى العلماء أن المشترك الذى يقع فيه التورية لابد من اشتهار معانيه وتداولها على الألسنة بخلاف اللغات الغريبة الا أن يختص باشتهار لغة غريبة بينهم فينبغى اعتبار حال المخاطب بها (٢٣) ، كما أوضح العلماء

---

(٢١) ينظر فض الختام ص ١٧٩ .
(٢٢) ينظر التصوير البيانى ص ٤١٦ - د . حفنى محمد شرف .
(٢٣) ينظر فض الختام ص ١٧٩ .

أن اللفظ المشترك اذا لم تتوفر فيه شروط التورية سمى اجمالا كما أشار الدسوقى (٢٤) ، وذلك أن التورية انما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا أن أحد المعنيين أسبق الى الفهم من الآخر ، وهذا يختلف باختلاف الاماكن والفرق بين الناس وبحسب اللوازم المبينة والمرشحة (٢٥) .

التورية فى الأدب الحديث

بعد ظهور النهضة الأدبية وتجديد ديباجة الشعر على يد البارودى ، وتأثر الشعر بهذا الاتجاه الجديد ، أخذت التورية تقل فى الأشعار رويدا رويدا حتى هجرها الأدباء والشعراء ، ولكن ظل مع ذلك بعض الشعراء يتعاطونها فى مصر والشام ، وان كانت قد تخلت عن مجدها السالف ومكانتها الأولى ، وذلك أن أكثر من تعاطاها من الشعراء انما هم من شعراء الصف الثانى أو الثالث وقليل من شعراء الصف الأول فى العصر الحديث .

وكان يمكن للتورية أن تؤدى دورا عظيما فى الأدب المعاصر خاصة وأنها سبيل لستر المعنى ، والتعبير عنه تعبيرا غير مباشر ، وأن تتجه بالأدب اتجاها رمزيا بل كان من الممكن أن تحدث مذهبا جديدا واضح المعالم والسمات وله شعراؤه الممتازون ، الا أنها ظلت عند أصولها الأولى ، فمثلا : نجد حافظ ابراهيم يداعب شوقى قائلا :

عهدى بأن الشوق نار سعرت وما بال « شوقى » اليوم أمسى باردا

وكذلك من أبيات شوقى فى رثاء حافظ :

يا « حافظ » الفصحى وحارس مجدها وامام من نجلت من البلغاء(٢٦)

---

(٢٤) ينظر حاشية الدسوقى - شروح التلخيص ٣٢٣/٤ ، معجم المصطلحات البلاغية ٣٨٦/١ .
(٢٥) ينظر طراز الحلة ص ٤٨١ .
(٢٦) ينظر الشوقيات ٢٤/٣ - ط . دار الكتاب العربى - بيرويت .

وأيضا قوله فى رثاء مصطفى لطفى المنفلوطى :

يا « مصطفى » البلغاء أى براعة فقدت ؟ وأى معالم بيراع ؟ (٢٧)

فلو عنى العلماء بذلك الأسلوب وحاولوا تجديده وتطبيقه وجعلوه مسايرا للعصر لضمنت الحياة له .

ولعل من أوضح الأمثلة التى تدلل على امتداد التورية والتجديد فى مفهومها هو شعر أمير الشعراء فى الحيوان ، الذى هو أحدث فروع الشعر فى هذه الأيام ، والذى تخرج التورية فيه عن حدود اللفظ الى القصيدة كلها (٢٨) .

---

(٢٧) ينظر السابق ٣/٩٦ .

(٢٨) ينظر التصوير البيانى ص ٤٦٤ - ٤٧٠ . د . حفنى محمد شرف ، ينظر الشوقيات ٤/١٢٢ وما بعدها .

خاتمـــة واســـتنتاج

فى هذا البحث حاولت الكشف عن أهمية أسلوب التورية فى البلاغة العربية ، ومعناها فى اللغة والاصطلاح وبيان أن مادتها تدور حـــول الستر والاظهار ، ومدى الارتباط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى وأثبت كيف خلط ابن رشيق بينها وبين غيرها من فنون البلاغة ، وأن البلاغيين فى تلك المرحلة ما كانوا يفرقون بين التورية وغيرها بل يمكن أن ينضم اليها ما يؤدى معناها من الصور البلاغية الأخرى ، كما وقفت عنـــد تعريف ابن قيم الجوزية لها وتمثيله بآيات من القرآن الكريم ووضحت أن ذلك لا ينطبق على التورية وانما على صبغ آخر يعرف عند العلماء باسم (التعديد) .

ثم عرجت على بيان أسماء التورية لدى علماء البلاغة ، وأبرزت أن أولى الأسماء بها هو ما أطلقه العلماء عليها باسم التورية وذلك لمطابقته المسمى ولأنه هو الأنسب ولأن المناسبة أيضا مطلوبة فى علاقة الأســـماء بمسمياتها ، وفرقت بين التورية والتوجيه وأنه لا يصح اطلاقه عليها لأنه فن آخر من فنون البديع ، وكذلك اطلاقهم التخييل على التورية ، وذلك أن التخييل خاص بالبيان على خلاف التورية التى هى من ألوان البديع فى البلاغة ، واطلاقهم على التورية أيضا اسم المغالطة ، وذلك لأن التورية نوع من المغالطة وليست هى المغالطة خاصة وأن الامام عبد القاهر أطلق على ما يعرف عند العلماء بأسلوب الحكيم اسم المغالطة وهو من عـــلم المعانى .

وقد وقفت على بلاغة أسلوب التورية واشارة العلماء الى مكانتهـــا ومنزلتها فى البلاغة ودورها فى أداء المعنى والتغلب على المواقف الحرجة والمآزق الضيقة ، كذلك أشرت لقدم التورية وأصالتها فى كلام العـــرب القدماء وآيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكـــلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وحول اثبات التورية ونفيها فى القرآن أدرت حوارا وضحت فيه أن القرآن نزل بلغة العرب ووفق أساليبهم تحديا لهم ، وذكرت أن هناك من العلماء من أثبت وجودها فى القرآن وان لم يذكرها باسمها الاصطلاحى، وأن ما دار من خلاف حول ذلك لا ينفى وجودها فى القرآن كما قال ابن يعقوب المغربى ٠

ثم تحدثت عن أنواع التورية ، وذكرت فروقا بينها وبين غيرها من الفنون التى يمكن أن تلتبس بها كالمجاز والأحاجى والالغاز ، والجناس ، وبينت أيضا أن التورية لا تقع فى كل لفظ مشترك ، وانما المشترك الذى تقع فيه لابد وأن تشتهر معانيه وتتداول على الألسنة ٠

كذلك بينت منزلة هذا الأسلوب فى الأدب الحديث ، وأنها يمكن أن تلعب فيه دورا مهما بعيدا عن الضبابيات والرمزيات التى أفسدت الأدب فى زماننا ، بل كان من الممكن لو أحسن استخدامها أن تحدث مذهبا واضح المعالم والسمات

هذا وبالله التوفيق والسداد

أهـم المصـــادر والمراجـــع

١ ـ **الاتقـــان**

السيوطى ـ ط . مصطفى البابى الحلبى .

٢ ـ **أساس التقديس**

الفخر الرازى ـ ط . مصطفى البابى الحلبى .

٣ ـ **الاشارات والتنبيهات**

محمد بن على الجرجانى ـ تحقيق د . عد بالقادر حسين ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة .

٤ ـ **الايضاح ـ بغية الايضاح**

الخطيب القزوينى ـ تحقيق عبد المتعال الصعيدى ـ ط . المطبعـــة النموذجية .

٥ ـ **البديع فى نقد الشعر**

أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد أحمد بدوى ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى .

٦ ـ **بديـــع القـــرآن**

ابن أبى الاصبع المصرى ـ تحقيق د . حفنى محمد شرف ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة .

٧ ـ **البرهـــان**

محمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار التراث ـ القاهرة .

٨ - بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار

د . عبد الفتاح لاشين - ط . دار الفكر العربى .

٩ - البلاغة القرآنية

د . محمد حسنين أبو موسى - ط . دار الفكر العربى .

١٠ - التبيـــــان

شرف الدين الطيبى - تحقيق د . هادى مطر عطية . عالم الكتب - بيروت .

١١ - تحرير التحبير

ابن أبى الاصبع المصرى - تحقيق حفنى محمد شرف - القاهـــــرة ١٣٨٣ هـ .

١٢ - التصوير البيانى

د . حفنى محمد شرف - نشر مكتبة الشباب .

١٣ - تنزيه القرآن عن المطاعن

القاضى عبد الجبار - دار النهضة الحديثة - بيروت .

١٤ - جواهر البلاغة

السيد أحمد الهاشمى - ط . ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .

١٥ - خزانة الادب وغاية الادب

ابن حجة الحموى - شرح عصام شعيتو . مكتبة الهلال - بيروت .

١٦ - دلائل الاعجـــاز

عبد القاهر الجرجانى - تحقيق محمود محمد شاكر - ط . الخانجى بمصر .

١٧ - روضة الفصاحة

زين الدين محمد بن أبى بكر الرازى - تحقيق د . أحمد النادى شعلة - ط . الطباعة المحمدية .

١٨ - الزاهـــــر

لابى بكر بن الانبارى - تحقيق د . حاتم الضامن - ط . بغداد ١٩٨٩ م .

١٩ - شرح عقود الجمان

السيوطى - ط . مصطفى البابى الحلبى .

٢٠ - شرح الكافية البديعية

صفى الدين الحلى - تحقيق نسيب نشاوى - ط . دمشق ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

٢١ - شروح التلخيص

ط . عيسى البابى الحلبى .

٢٢ - الصبغ البديعى

د . أحمد محمد موسى - القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .

٢٣ - الطـــراز

العلوى اليمنى - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٤ - العمـــــدة

ابن رشيق القيروانى - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت .

٢٥ - غريب الحديث

ابراهيم بن اسحاق الحربى - تحقيق د . ابراهم بن سليمان العايد - ط . جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

٢٦ - فض الختـــام

الصفدى - تحقيق - د . المحمدى الحناوى - ط . الطباعة المحمدية .

٢٧ - كتاب طراز الحلة

أحمد بن يوسف الرعينى - تحقيق د . رجاء السيد الجوهرى - مؤسسة الثقافة الجامعية .

٢٨ - المثـــل السـائر

ابن الاثير - تقديم وتعليق د . أحمد الحوفى و د . بدوى طبانة .

٢٩ - المصـــــباح

بدر الدين بن مالك - تحقيق د . حسنى عبد الجليل - ط . مكتبـــة الآداب بالجماميز .

٣٠ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها

د . أحمد مطلوب - ط . المجمع العلمى العراقى .

٣١ - **مفتـــاح العـــلوم**

أبو يعقوب السكاكى - ط . مصطفى البابى الحلبى .

٣٢ - لســـان العـــرب

ابن منظور - ط . دار المعارف بمصر .

٣٣ - **نفحات الازهار على نسمات الأسحار**

عبد الغنى النابلسى - نشر مكتبة المتنبى - القاهرة .

٣٤ - **نقـــد النثـــر**

قدامة جعفر - تحقيق وتعليـق د . طه حسين وعبد الحميد العبادى - ط . القاهرة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .

٣٥ - **نهايـــة الأرب**

النويرى - ج ٧ - ط . وزارة الثقافة والارشاد القومى . مصر .